"سلسلة روقان صايم"

بسطة فلافل!

عُدت بالأمس من العمل مسرعًا لأصل في الوقت لتناول وجبة الافطار في اليوم الأول، الذي يعتبره البعض أصعب أيام الصّوم في الشّهر الفضيل. وصلت إلى "وسط البلد" فإذا بي أرى أزمة سير مخيفة أمامي. السّيارات تسير ببطء شديد. بدأت العصبية عندي وعند السّائقين تلوح في الأفق فالوقت يقارب وقت الإفطار حيث بدأ الجوع يأخذ تأثيره. بالإضافة إلى السّيارات رأيت تهافتًا من النّاس أيضًا يتزايد كلما مشيت إلى الأمام بالسّيارة. للوهلة الأولى ظننت أنّ حادثًا قد وقع خاصّة وأنا أسمع صراخ النّاس يأتي من بعيد ويتعالى أكثر وأكثر كلّما اقتربت، أو أنّ مظاهرة قد سارت قريبًا منّي أو حتّى "طوشة" فأعصاب النّاس "واقفة على شعرة". سألت أحدهم ماذا يحدث وما سبب هذه الزّحمة والجلبة الّتي نراها. أجابني والابتسامة تعلو وجهه: "بسطة فلافل". ظننته يمزح، ولكنّه أكّد لي ذلك قائلًا: فلافل مميّز بالجبنة والفلفل الحار. استغربت كثيرًا، استغربت أنّنا ننتظر شهر رمضان، وننتظر الصّوم طول النّهار كي نفطر على فلافل. عذرًا فلافل بالجبنة والفلفل الحار. إفطارًا شهيًا.

بالجبنة أو بالجوز؟

يعاني العالم العربي والإسلامي منذ سنوات طويلة من الانقسامات والفُرقة، وهم معروفين بذلك منذ كانوا شعوبًا وقبائل ليتعارفوا، وسيبقون كذلك إلى الأبد.

فنرى المسلمين شيعةً وسنّةً ومذاهب أُخرى، والهوة تتّسع بينهم أكثر وأكثر، سياسيًّا ودينيًّا.

نرى من العرب من ينحاز منهم لروسيا ومنهم من ينحاز لأمريكا والكلّ يتسابق لشراء الأسلحة خدمة لأسياده.

نرى العرب منقسمين بين مؤيد لبرشلونة ومناصر لريال مدريد. نراهم في مختلف أعمارهم، رجالاً ونساءً ، أطفالاً وشيوخًا، كلّ متعصب لفريقه ينتظر سقوط خصمه وفشله.

كذلك في رمضان نراهم متفرّقين منقسمين متعصّبين ما بين محب للقطايف بالجبنة وهم الأغلبية، ومحبّذ للقطايف بالجوز. ولا تنسوا عجينة القطايف من أين وما هو تاريخ صانعها، أصله وفصله.

(بالله عليكم لا تشتموني ولا تقولوا عني شيئًا سيئًا).

على فكرة أنا من مؤيّدي القطايف بالجوز.

ينعاد علينا وعليكم بالخير والبركة.

استوصوا بالنّساء خيرًا

الله يكون بعون النّساء في رمضان. شغل برا البيت وشغل جوّا البيت، تحضير أكل وشرب وعناية بالأولاد ومشتريات وتجهيز وغيرها الكثير الكثير.

اليوم السّاعة الثّانية ظهرًا:

أنا: شو طابخين اليوم؟!

زوجتي: هيني بحضّر صينية كفتة بالبطاطا.

أنا: أوف! بسْ؟

زوجتي: آه بس، شو بدك أكثر؟!

أنا: لازم يكون تنويع وخيارات أكثر.

زوجتي: شو رأيك "تتحفنا" بسكوتك؟! إذا بدك إشي ثاني قوم اعمل إنت.

أنا: أنا؟! شو دخلني؟! أنا صايم وتعبان ومش قادر، حاسس حالي دوخان.

زوجتي: إنت طول اليوم نايم أو قاعد ولسا بتشكي؟!

أنا: شو بدك مني؟! بكفيش صايم!!!

زوجتي: يعني عامللنا معروف بصيامك؟! محملنا جميلة؟ قوم اعملّك شغلة بدل منتا "مبطّح" طول اليوم.

أنا: طيب هاتي أكُبْ الزبالة!

آخر فرصة

يعني حاولنا كل اشي...

جرّبنـــا الصّـــوم المتقطـــع والـــرّجيم المتحـــوّل والـــدّايت المتجـــوّل والإبـــر والحبـــوب والأدويـــة والكريمـــات والمســـاحيق ومـــا خلينـــا إشـــي إلّا جربنـــاه. وهـــا نحـــن برمضـــان. الـــرّأي السّـــائد أنـــه النّـــاس بتسـمن برمضـــان. أكيـــد بيســـمنوا. وكيـــف بـــدنا ننـــزل بالـــوزن وكـــل يـــوم عزومـــة برمضـــان، ولمـــا تـــروح العزومـــة بحكولـــك: "وجـــاي تعمـــل دايـــت عنـــدنا إعملهـــا بعـــد مـــا تـــروّح". كيـــف بـــدنا نعمـــل حميـــة وكـــل يـــوم حلـــويات أشـــكال وألـــوان وكميـــات هائلـــة مـــن القطـــر والسّـــكّر وحمـــص وفلافـــل ومقـــالي، وإذا حكيـــت وقلـــت بـــلا منهـــا الحلـــويات بحكولك بالبيت: إنت قاوم فش عندك إرادة؟! إنت ما تاكل. ما بتقدر تحرم غيرك.

والّي بصـير أنـــه النّســـاء تطـــبخ وتحضّـــر طـــول اليـــوم، ولمـــا ييجـــي وقـــت الاكـــل بتقـــول مـــا إلي نِفـــسْ والرجـــال بتـــزلط ممّـــا هـــبّ ودب وبـــتربي كـــروش وآخرتهـــا بحكولـــك: "لـــيش مـــا بتضعف، مش شايف كرشك؟! "

ارحمونا يرحمكم الله!

ملاحظة: النص بالعاميّة عمدًا

عزائم

بلّشت العزائم. في الأمس كنّا معزومين عند أقارب لنا. أنا لا أُحب الأكل خارج البيت في رمضان. ببساطة لا أرتاح لذلك. ما علينا! ذهبنا. أولاد وبنات، نساء ورجال، عدد كبير من المدعوّين. "طوشة وقايمة"، صراخ وصياح من كل حدب وصوب: "أسكت يا ولد!"، "إهدأ يا حبيبي"، "اقعدوا يا ولاد"، "ولك اتركه"، لكن لا حياة لمن تنادي!

"الله اكبر الله اكبر" وصل صوت الأذان مسامعنا معلنًا انتهاء الصّوم. بدأ الهجوم على المائدة بمحاولة لاحتلال الأماكن الإستراتيجية قريبًا من صواني اللحوم في مركز المائدة. آه على حظي! جلست في طرف المائدة بعيدًا عن الضوضاء. جلس بجانبي أحد المدعوّين "الغليظين". التصق بي حتّى كاد يجلس بحضني، ودفعني جانبًا ليجلس بإرتياح.

ما أن شرع بالأكل حتى قال هامسًا بأُذني:"الشّوربة باردة". "آها " أجبته بفتور. وواصلت احتساء الشّوربة على أنغام وموسيقى "شفطه" للشّوربة "الباردة" قريبًا من أذني.

"السّلطة ناقصها ملح" قالها وهو يضع معلقة كبيرة من سلطة الخضار في فمه.

"الّرز مش متبّل مزبوط" تذمّر وهو "يغرف" الرّز بمغرفة كبيرة.

"اللّحمة مش طريّة، شكلها مجففة".

"القطايف بالقشطة مش بالجبنة، استرخصوا!".

أكـل وأكـل وأكـل وأصـدر أصـوات اجـتراره، بكـى واشـتكى وأنهاهـا بزجاجـة "صـودا"، وعندها "تدشّى" بصوت كصوت الرّعد وأصوات الضحك تعلو من كلّ صوب.

"يخلف يا أبو فلان" صاح بأعلى صوته.

"صحتين يا أبو علّان، زَوِّد، مش أكلك" جاءه الرّد من المضيف.

"لا والله مش قادر، نفسي مسدودة لأني مريض وما قدرت أصوم اليوم".

بالفعل لا على المريض حَرَج.

فتوّة

هل تتساءلون مرّات ما إذا كان صيامكم مقبولًا أم لا؟ كلّنا نعلم مدى صعوبة المحافظة على صيامنا مع هذا الكمّ الهائل من المواجهات اليومية في البيت وفي العمل وفي الشّارع. أصبح من المستحيلات أن نحافظ على صيامنا وأن نضبط أنفسنا وأن نتحلى بالصّبر وبرودة الأعصاب وضبط النّفس، بالإضافة إلى التزامنا بالمتطلبات الدينيّة الأساسيّة من صوم وصلاة وزكاة وما يلحقها من الأمور الخاصة برمضان، باختصار نحن على المحك طوال اليوم والليل.

هل تذكرون صديقنا "الغليظ" شافط الشّوربة الباردة الذي ذكرته بالأمس؟! بالتأكيد تذكرونه.

بعد انتهاء وجبة الإفطار المشهودة، جلسنا نحن الرجال نتسامر ونتحدث في أمور الدّنيا والدّين. كلّ يدلي بدلوه بالأمور الحياتيّة والدينيّة، والجميع "يفتون" فنحن شعب نحب أنْ "نفتي" في كلّ مجالات الحياة.

فجأة رأينا صاحبنا مكتئبًا حزينًا. سأله صاحب البيت: ماذا جرى؟! ما الذي يزعجه؟!

أجاب صاحبنا بحزن وألم:

"بالأمس عندما كنت أتوضأ قبل صلاة العصر، وعندما غسلت فمي، شعرت أنّ قطرة من الماء قد دخلت فمي ووصلت إلى حلقي، بدون قصد أو نيّة، وتذكّرت ذلك الآن فأصابني الحزن وأخشى أن أكون قد أفطرت".

أخذ النّاس بتهدئة روعه، محاولين مواساته والتخفيف عن حزنه قائلين أنّ ديننا دين يُسرٍ وليس دين عُسر وما إلى ذلك من أمور.

وفجأة وبدون سابق إنذار سمعته يوجه الحديث اليّ قائلًا:

"وأنت شو رأيك يا أستاذ؟". أعترف أنني تفاجأت بسؤاله وأصبت بالذهول.

من يعرفني يعرف أنني إنسان صريح لا أُداري هذا النّوع من النّاس وخاصّة أنني مغتاظ منه ومن تصرّفاته فوجدت نفسي أقول:

"والله يا أبو فلان أنا أتعجّب منك ومن تقواك! فأنت تخاف أن تكون قد أفطرت من قطرة ماء سقطت في فمك سهوًا، أما إنّك "ماكل" مترين من الشّارع العام فلا يؤثّر بك، أما كان من الأجدر أن تعيد الحق العام لأصحابه؟!

ساد الهدوء لسماع النّاس لأقوالي وتبادلوا بينهم النّظرات بصمت مرعب. وفجأة وبدون أي مقدمّات انفجر الجميع بضحك مدوٍ ومحرج.

أما هو فنظرت إليه وقد احمرّ وجهه واستشاط غضبًا ونهض على قدميه مناديًّا:

"فاطمة يا فاطمة (اسم زوجته) لمي الأولاد إحنا مروحين". ومشى مبتعدًا عدّة خطوات والتفت إليّ قائلًا: هيك يعني؟! طيّب عليّ الطّلاق ما أنا صايم لا بكرا ولا بعده جقر فيك، وجقر فيكم".

حماتي

كمان عزومة على الإفطار اليوم!

هذه المرّة الدّعوة من عند حماتي. أعترف أنّ العزومة عند حماتي لها رونقها ونكهتها الخاصّة. يعني أجود أنواع المأكولات وأطيبها، الحلويات بأنواعها وأشكالها، الرّفقة والصّحبة الطّيّبة، المعاملة الحَسنة والوجه البشوش.

حماتي بعكس الصّورة النّمطيّة الّتي عرفناها عن الحموات. كثرة النكات على الحموات نابعة من حقيقة أننا تربيّنا على الخوف منهنّ. لقد صوّروا لنا الحماة أنّها المرأة الشّرّيرة السّلبيّة. ونحن، كما نحن، حملنا هذه الصّورة عن المرأة الّتي هدفها في الحياة "تنغيص" حياتنا والتّنكيد علينا بواسطة تحريض ابنتها ضدّنا، نحن الأزواج. والإثقال علينا بالطّلبات والأعباء.

لا أُنكر وجود حموات سيّئات مثلما يوجد آباء وأمّهات شريرون، ولكن أتى التّعميم من نصيب هذه السّيدة "المسكينة"، وها هي تدفع ثمن هذا التّعميم المجحف في حقها منذ سنوات طويلة وهي تحاول قدر استطاعتها وبكلّ طريقة ممكنة وبكلّ وسيلة متوفرة من دعوات أسبوعيّة للغداء أو العناية وتربيّة الأولاد والأحفاد والهدايا

وغيرها من الأمور بهدف تحسين صورتها إرضاءً لأزواج بناتها. وبالتّالي نحن الأزواج المستفيدون من ذلك. حماتي رَبّتْ كل أولادي أحسن تربية، وأولادي يحبّونها كثيرًا حيث كانت لهم أمًا وجدّةً.

سألتها مرّةً نكاية "بعدائلي":

"من تحبين أكثر واحد من بين أزواج بناتك؟!" كنت آمل أن تجاملني وتقول لي أنّها تحبّني أكثر واحد لكنّها أجابتني بجواب لا زلت أذكره جيّدًا:

"أحَبُّكم إليّ أكثركم احترامًا لابنتي".

أطال الله في أعمار حمواتكم ومنحهن الصّحة والعافية.

رفقًا بهم

عمَّ الخير في بلاد المسلمين في عهد الخليفة الأمويّ عمر بن عبد العزيز الذي حكم بضعًا وثلاثين شهرًا كانت أفضل من ثلاثين دهرًا، نشر فيها العدل والطمأنينة.

وقد فوجئ الخليفة بشكاوى من جميع الأمصار، وكانت الشّكوى من عدم وجود مكان لتخزين الخير والزكاة.

فكان من بين الحلول التي أمر بها الخليفة، أنّه طلب من عماله أن يأخذوا بعض الحبوب وينثروها على رؤوس الجبال فتأكل الطّيور وتشبع حتى لا يقول قائل: جاعت الطّيور في بلاد المسلمين.

إنَّ ما يعنينا في هذا الأمر أنّ العدل الذي شاع في عهد الخليفة عمر قد شمل الحيوانات أيضًا، وأعاد لها اعتبارها من إحسان ورعاية، ومعاملة قوامها التّخفيف والرفق.

كلّنا نعلم خبر المرأة التي دخلت النار في هرّة حبستها، والرّجل الذي غفر الله له لأجل كلب سقاه.

من الأمور التي رأيتها خلال زياراتي لتركيا، أنَّ أصحاب المحلّات والحوانيت يضعون الأواني المخصصة لأكل الحيوانات وشربها من كلاب وقطط مشرّدة، خاصّة أيام الشّتاء وتساقط الثّلوج والبرد الشّديد. فلماذا لا نفعل ذلك نحن أيضًا؟!

سيقول أحدهم: "النّاس مش لاقية تأكل، بدك تطعم الحيوانات؟!".

صحيح أننا لا نميل إلى تربية الحيوانات في بيوتنا إلّا القليل القليل، إلّا أنّ تعاملنا مع الحيوان هو تعامل غير لائق، من حبسٍ وتنكيل وتعذيب أحيانًا. تذكّروا أنَّ مَنْ ينكّل بالحيوانات اليوم سينكّل بالإنسان غدًا.

ها نحن في شهر رمضان الفضيل، نصنع الولائم والأطعمة التي تذهب منها كميّات إلى حاويات القمامة، فلماذا لا نكسب أجرًا مضاعفًا ونضع بقايا الأطعمة، التي ننوي رميها، في أوعية وأواني مخصّصة حتّى تأكل منها الكلاب والقطط علّها تكون سببًا في دخولنا الجنة.

كسل

كسل غريب، لا رغبة في عمل شيءٍ، فقط النّوم، خاصةً مع تغيّر مواعيد نومنا وساعتنا البيولوجية.

تعالوا نحكيها بصراحة: صوم وسهر وشغل ما بمشوا سوا.

لقد كنت مترددًا عن الكتابة في هذا الموضوع. لكن ها أنا أخوض به بعد عدة أيام من البدء بصيام شهر رمضان. لقد خرجت لعطلة في الأيام الأولى للشّهر الفضيل لعلّ وعسى نعتاد أنا وجسمي على الصّوم. بالفعل اليوم أنا اشعر بارتياح أكبر مقارنة مع الأيام الأولى من الصّوم. لكن يومًا بعد يوم يزداد الكسل، لا قوّة لعمل شيءٍ، لا تعويد على الجوع.

السؤال الذي يطرح نفسه هو: هل من المفضّل ألّا نعمل ونأخذ عطلة خلال شهر رمضان؟! ما مدى نجاعة عملنا خلال الشّهر؟! هل بالفعل نحن ننتج أم أننا نذهب إلى العمل ونعود مثلما أتينا؟ هل بالفعل يتعلّم الطّلاب في المدارس والجامعات؟ ما مدى تركيزهم في المادة؟ وما هو تقييمنا لأداء المعلمين خلال شهر رمضان؟

كـــلّ هـــذه الأسـئلة والأفكـــار والشّـــكوك تـــراودني منـــذ أيام، وبصـــراحة لأول مـــرة خـــلال عملي في مجال التعليم.

نحـــن نعـــيش في مجتمعـــات الـــوفرة، حيـــث يتـــوفر الطّعـــام وتنتشـــر المطـــاعم ويعـــمّ الخـــير نســـبيًّا في كـــلّ مكـــان، لـــذلك أعتقـــد أنّ الامتنـــاع عـــن الطّعـــام والشّـــراب في مجتمعنـــا الحـــالي يشـــكل عائقًـــا كبـــيرًا. فـــنحن وأبنـــاؤنا تعـــوّدنا علـــى الرّخـــاء والرّاحـــة. نعـــم نصـــوم، ولكننـــا نستصعب الصّوم والعمل في آن واحد.

لـــيس في الأمـــر نـــداء، ولا بأيّ شـــكل مـــن الأشـــكال، لـــترك الصّـــيام الـــذي هـــو ركـــنٌ أساســـي مـــن أركـــان الإســـلام. ســـأترك الإجابـــة علـــى هـــذه التّســـاؤلات لكـــلّ واحـــد وواحدة منكم.

أجداد وأمجاد

قالت العرب: " ممّا يزيد المودّة؛ التّحاشد على الموائد".

ما أشدّ حاجتنا في هذه الأيّام إلى التّحاشد والتّكاتف والألفة.

من أهم العوامل التي كانت تعزّز هذه الظاهرة هي وجود الأشخاص كبار السن في بيوتنا التي كانت عامرة بوجود الأقارب والضّيوف والزّوّار. اليوم لا أحد يزورُ أحدًا، غربة في البيوت والمنازل.

كان الجدُّ والجدّةُ يجمعون أولادهم وأحفادهم تحت ظلّهم، فيأتي الزّوّار والضّيوف لزيارتهم، وكنّا نستأنس بهم خيرًا.

كم محظوظة هي تلك البيوت التي حظيت بسكن الجدّ والجدّة فيها، فهي بيوت مباركة بدعواتهم وتسابيحهم ليلًا ونهارًا. ما أروع أن تبدأ يومك بدعاء من جدّتك وهي تسبّح بحمد الله، دعاء يفتح لك أبواب الخير والجنّة. بيوت مباركة تسكنها نفوس نقيّة ومطمئنّة بالإيمان ومخافة الله، جدّان يبثّان الأمان في نفوس أبنائهم وأحفادهم، تحلّ البركة حيثما يحلّون وتنعدم عندما يغادرون.

ناهيك عن القصص والحكايات والعبر والذّاكرة الجميلة التي نشتاق إليها، والمأكولات الشّهيّة التي أصبحت نسيًا منسيًا، مَنْ من أولادنا يعرف "القراقيش"، وخبز الطّابون الأصلي وخبز الشراق والزّعتر والجبنة المكبوسة وغيرها من المأكولات. كذلك الأغاني الشّعبيّة والتّراثيّة وأغاني الأعراس والكثير الكثير.

كم محظوظون أنتم الذين تحتضن بيوتكم الجدّ والجدّة، كم محظوظون أولادكم بدعواتهم وصلواتهم.

أطال الله اعمار أجدادنا وجدّاتنا ورحم الله من رحل منهم.

كُن محسنًا

لقد كنت شاهدًا اليوم على موقف أزعجني كثيرًا، خاصّة وأننا في شهر رمضان، شهر التّسامح والمحبة.

لقد رأيت أحد المسؤولين وهو يُعنّف أحد الموظفين بصورة مستفزّة. لقد كان التّعنيف لسبب تافه حقًا. وعندما غادر الموظف توجّهت إلى المسؤول قائلًا: لم يكن داعٍ لكلّ هذا الأمر!! فأجابني: "هكذا يجب التّعامل معهم". صعقتني إجابته، أكمل قائلًا: "بدون رحمة أو تهاون"، لأنّهم حسب رأيه يجب أن تظلّ "داعس" على رقبتهم.

طبعًا أعربت عن استيائي الشّديد له وعن عدم رضاي عن تصرفه. من هنا أقول لكلّ مسؤول:

عندما يمنحك الله مركزًا وسلطة، كُن على قدر المسؤولية، وسخّر مركزك لتساعد من خلاله النّاس لا لكي تتسلّط عليهم وتظلمهم. لا تستغلّه لتقسو وتتجبّر به. كن لطيفًا لينًا مع الجميع، حتى لو لم يعجبك الموقف. حاول أن تحترم غيرك مهما كان مركزه ومقامه، فجرحك للنّاس ليس مفخرة لنفسك، بل احتقارًا لها.

إن أردت أن تفعل خيرًا، فافعله بقلب كبير وادعٍ، افعله كلّه حتّى تشعر أنّك قد قمت بواجبك على أكمل وجه.

إنّ الحياة مواقف، لا تترك الحياة أثرًا إلّا لمن كانوا عظماء بأخلاقهم ومبادئهم. ليتنا نفهم أنّ كلّ العلاقات خُلقت للرّاحة والرّحمة ولم تُخلق للاستبداد والقمع.

كلمة طيّبة كفيلة لحل أيّ خلاف، نظرة حب ستنزع الحزن من القلوب، العلاقات الجميلة وُلدت لتكون استراحة للقلوب.

كُن مُحسنًا لمن هم حولك، آمنًا وهادئًا أو أعتزلْ مَنْ لا يستحقك.

كُن منصفًا

عندما نشرت مدوّنة الأمس، التي تتحدث عن نصائحي للمسؤولين، اتّصل بي بعض الذين يشغلون مناصب رفيعة، يعني مسؤولين، واحتجّوا إنَّ المدونة أحادية الجانب ولا تعرض الصّورة كاملة، وأنه هناك إجحاف في حقّهم، حيث يتعرض الكثير من المسؤولين لتطاول واعتداء بعض الموظفين الذين يعتقدون أنّهم "محصّنون" وأنّ لا أحد يستطيع المسّ بهم أو طردهم من العمل لأنّهم "مدعومون" من جهة ما، أو انَّ عائلاتهم تساندهم بكل الأحوال والظروف.

لقد كنت مسؤولًا معظم حياتي المهنيّة، وقد حملت السّلّم عشرين عامًا ثقيلة الوقع كثيرة المطبّات والعوائق، والصّراعات، والتّعدّيات، والاعتداءات.

عشرون عامًا من حمل المسؤولية التي هي أمانة رفضتها الجبال وأشفقن منها.

لقد تعرّضت أكثر من مرّة لِما يُسمّى "ردح" بعض الموظفين وتهديداتهم أو حتى إهاناتهم. بعض هذه الاعتداءات واجهتها بطرق تربويّة، وبعضها بأساليب غير تربويّة، فنحن بالتالي بشرٌ لدينا مشاعرنا وأحاسيسنا. وقد كنت في عدّة مواقف

شاهدًا على تهجّم بعض العاملين على مسؤوليهم بصورة بشعة تثير الاشمئزاز والقرف.

لذلك ما أودّ أن أقوله أنّ للعملة وجهين، وأنّ الحقيقة ليست مطلقة.

ما ينقصنا هو ثقافة وأخلاقيات العمل، لغة الحوار والتعامل. كل حياتنا "طوشة " كبيرة. على المسؤول أن يكون نزيهًا ومنصفًا، وعلى الموظف أن يكون مخلصًا لعمله وملتزمًا بأنظمة وقواعد عمله، متحملاً للمسؤولية، غير متمادٍ على مديره، وألّا يعتبر الامر إنجازًا، بل وقاحة.

أما نحن، فتعالوا نكون صادقين مع أنفسنا، تعالوا لا نصفّق للغلط، تعالوا نعترف أنّ معظم من يتم اقصاؤهم عن وظائفهم هم من الأشخاص المقصّرين في عملهم. قلت في السّابق وأعيد وأكرّر أنني أعارض مقولة "قطع الأعناق ولا قطع الأرزاق" لأنّ من يهتم برزقه عليه أن يبذل قصارى جهده من أجل المحافظة على عمله. هكذا ترتقي الأمم وتتقدم.

إماطة

كم أحب اللّغة العربية وأعشقها وأحب معانيها. كم أحب الكلمات المجازية المأخوذة من تراثنا وتاريخنا.

من الكلمات التي صادفتها مؤخراً، خلال قراءاتي في شهر رمضان، كلمة "إماطة". "أماط الرجل اللثام": أزاحه عن وجهه وكشفه فظهر جليًا. حاولوا تكرار الكلمة وترديدها مع تأكيد حرف الطّاء والتّاء واسمعوا وقْعَها وأثرها. أعشق هذه الكلمة وأحبُ تكرارها.

مَن يعرفني جيدًا سيعرف ما الذي أقصده وما هي وجهتي!

صحيح؛ إماطة الأذى عن الطريق! الطّريق طريق الجميع، ملك كل الناس.

ورد في الحديث النبوي: "الايمان بضع وسبعون شعبة أولّها قول لا إله الا الله وآخرها إماطة الأذى عن الطّريق". تخيّلوا أنّ الايمان قد ارتبط بإماطة الأذى عن الطّريق أي إبعاده حتى لا يصيب النّاس بضرر، حتى لو كان هذا الأذى معنويًا.

كم منّا يطبّق هذا الحديث بصورة فعليّة؟ كم منّا يزيل الأذى عن الطّريق؟! كم منّا يعي أنّ هذا أصلًا عبارة عن أذى؟!

لقد عدت البارحة في ساعات المساء إلى بيتي. شققت طريقي بصعوبة كبيرة في الشّارع العام. كانت السّيارات تقف على جانبيّ الطّريق، وعلى الرّصيف أيضًا. لا أريد أن أعرف سبب تواجد هذا الكمّ من السّيارات في هذه السّاعة من شهر رمضان حتى لا يتهمني البعض أنني "كثير غلبة"، لكن أول ما خطرت على بالي هي جملة "إماطة الأذى عن الطّريق". تخيّلت هؤلاء الأشخاص وهم يركنون سياراتهم حيثما يخطر على بالهم، حاولت أن أخمن بماذا وكيف يفكّرون وهم يغلقون شارعًا كاملًا كي ينزلوا لشراء ربطة خبز أو أي غرض من الدّكان ضاربين بعرض الحائط مشاعر النّاس واحتياجاتهم. ماذا يفكّر سائق الشّاحنة الذي يركن شاحنته العملاقة على الرّصيف؟! ماذا يفكّر أهله عندما يمرّون ويشاهدون شاحنته تحجب الطّريق وضوء الشّمس حتى؟! هل فقدنا إدراك التّمييز بين الصّواب والخطأ؟!

هل أنا حسّاس أكثر من اللّازم؟! هل عليّ أن أضع "رأسي بين الرؤوس" وأن أسير بالدّرب كما يسير غيري؟! أن لا "أُحيي الدّين في مالطا"؟!

حاولت، حاولت جاهدًا، لم أستطع. لا أستطيع تجاهل الغلط. أصبحنا نتغاضى عن أبسط الأشياء بحجّة أنّ أفضل طريقة هي التّجاهل. نسمعها

كثيرًا؛ "تجاهلْ"، "أحسن شيء التجاهل".

أعزّائـــي أقولهـــا بصـــوت عـــالٍ: أميطـــوا اللثـــام عـــن وجـــوهكم، لا تتجـــاهلوا. أصـــبح التّجاهـــل عنواناً للجهل في عصر هو أقرب إلى عصر الجاهلية الأولى.

نحن وهم

الأكل ثقافة، وإكرام الضّيف ثقافة.

تعـوّدت أن أرى بيتنـا يعـجّ بالضّـيوف خـلال كـلّ أيام السّـنة. ضـيوف أشـكال وألـوان، مـن أمـاكن كثـيرة. وقـد ورثـت هـذا الأمـر أنا أيضًـا. كثـيرًا مـا كنـت أعـود إلى البيـت مـن الجامعة ومعي ضيف من أصدقائي.

كانـت أمـي –رحمهـا الله– إنسـانة كريمـة جـدًا، كـرم ورثتـه عـن أمّهـا، جـدّتي. السّـؤال الأول الـذي كانـت تسـأله: "أجيـب الأكـل؟! ". إذا كـان الجـواب بالإيجـاب فقـد كـان بـه. أمّـا إذا كـان الجـواب بالسّـلب فقـد فتحنـا علـى حالنـا باب مـن الصّـعب إغلاقـه. سلسـلة غـير منتهيـة مـن الأسـئلة: "مـا جعتـوا؟!"، "بـدكم تأكلـوا؟!"، "أحطلكـم أكـل؟!". تتـوالى الأسـئلة حـتى نرضـخ أخـيراً كـي تتوقّـف عـن طـرح نفـس السّـؤال بصـيغة مختلفة كل خمس دقائق.

شـاءت الأقـدار أن أحـلّ ضـيفًا علـى عائلـة ألمانيـة. سـكنت عنـدهم لمـدة أسـبوعين تقريبًا.

عندما كان يحين موعد الأكل، كانوا يسألونني: هل تريد أن تأكل؟! فكنت، ولخجلي، أقول لا، حتى لا يعتقدون أنني غير مؤدب. فوجئت أنّهم كانوا يجلسون للأكل وأنا أجلس جانبًا منتظرًا منهم أن يكرّروا السّؤال مرّة أخرى وأخرى كما اعتادت أمّي أن تفعل. لكن السّؤال لم يأتِ أبدًا.

مرّ أسبوع وأنا أتضوّر جوعًا. قرّرت الاتّصال بصديق لي، يسكن في مدينة ألمانية أخرى. أخبرته بالقصّة. ضحك صديقي حتى سالت دموعه وقال لي: "أنت مجنون! هل تعتقد أنّهم مثلنا؟! لا ولا يا صديقي. إذا سألوك استجب بدون تردّد وإلا فستموت جوعًا "طبعًا هذا ما حدث حتى استعدت قواي. لكن كان من المهم لهم أن يوضّحوا أنّهم لا يرمون الأكل أبدًا، كما نفعل، ولا يضعون لك الأكل في صحنك، كما نفعل، بل تضعه بنفسك بالكمية التي تريد شرط أن تأكلها كلها.

نفس الصّديق أخبرني أنّه جلس يومًا في مطعم، بصحبة أصدقاء له من أبناء عروبتنا، وأنّهم قاموا بطلب كمية كبيرة من الأكل الذي لم يأكلوه كلّه، فقامت مجموعة من السّيدات المسنّات في المطعم بتوبيخهم لإهدارهم الطّعام، حتّى لو دفعوا ثمنه، وهدّدوهم بتقديم شكوى في الشّرطة ضدهم.

الألمان لا يرمون الأكل. أذكر أنّ قطعة من الخبز بقيت على المائدة لمدة أسبوع ولم يتم رميها.

قبل عدّة أيام كنت مدعوًّا إلى وليمة في مكان عملي وتمّ تقديم وجبات إفطار شخصيّة لكلّ صائم. "رقاب محشيّة" "دجاجة محشيّة"، "مسخّن"، "لحمة خروف". هل تتخيّلون كميّة الأكل التي تمّ رميها في حاويات القمامة دون أن يلمسها أحدٌ؟!

خلاصة الموضوع، دون لف ولا دوران:

"نحن العرب نكرم الضيف".

جَنَت على نفسها بُراقش

بالتأكيد أنّكم سمعتم بالمثل "جنت على نفسها بُراقش". هذا المثل يُضرب لمن عَمِلَ عملًا ضرَّ به نفسه. كانت براقش كلبة قد أغار قومٌ على قومها فنبحت فانتبه لها المعتدون فقتلوا عددًا من قومها وقتلوها أيضًا.

كتبت بالأمس مدونةً ساخرة، اعتقد البعض خطأ أنني أشيد بكرم العرب وحسن ضيافتهم، في حين أنّ الهدف منها كان التّحذير من الإسراف والتّبذير في الأكل الذي نشهده في حياتنا اليوميّة وفي رمضان خاصة.

على أثر ذلك وتباعًا له، دار الحديث الآتي بيني وبين زوجتي في اليوم التّالي:

-أنا: شو طابخين اليوم؟

-زوجتي: مش طابخين اليوم.

-أنا: أوف، خير شو السّيرة؟!

– زوجـــتي: مـــش إنـــت كتبـــت مبـــارح عـــن التّبـــذير والإســـراف ورمـــي الأكـــل، وأنّ هـــذه عـــادة ســـيئة ولا تجـــوز؟! لـــذلك قـــرّرت اتبـــاع كلامـــك وأن نأكـــل مـــا تبقّـــى مـــن طعـــام البارحة والأيام السّابقة.

– أنا: لكـــن أنا مـــا بحـــب الأكـــل البايـــت، وإنـــتِ مـــا صـــدّقتِ إنيّ حكيـــت هـــالكلمتين ومسكتيهم عليّ !!

– زوجتي: يعني إنتَ تكتب للناس ما لا تعنيه، وتقول ما لا تفعل؟! يعني تنظير؟

– أنا: أصـــلًا كـــل العـــرب هيـــك، كلهـــم شـــعارات وشـــجب واســـتنكار. بعـــدين أنا الي بحكيه للنّاس مش بالضّرورة يُطبّق عليّ.

– زوجتي: والله! يا ريت القُرّاء الّي بتابعوك يعرفوا هاي الحقيقة.

–أنا: اتركي القرّاء بحالهم وما تدخليهم بالموضوع.

– زوجـــتي: هـــذا الموجـــود، مـــش طابخـــة اليـــوم يعـــني مـــش طابخـــة! مـــش معجبـــك بتقـــدر تشجّب وتستنكر زي العرب قد ما بدك!

– أنا: طيّب بمشيها إلك اليوم، بس ما تعيديها. آه وكمان شغلة، من اليوم وطالع ما بدي تقرأي مدوّناتي ولا تأخذي منها أفكار.

أكلناها بايت يا جماعة.

الزّيارة غارة

يمتاز شهر رمضان أنّه شهر الزّيارات والسّهر، رغم أنّ الزّيارات قلّت بين النّاس واقتصرت حاليًا على أقرب المقربّين من الأقارب والأصدقاء. لدرجة أننا أصبحنا نستغرب إذا دقّ أحدهم بابنا.

في عصر الزّمن الجميل، اعتاد النّاس على تبادل الزّيارات. وكنّا، نحن الصّغار، نحبّ أن نرافق أهلنا في زياراتهم، وكذلك أن نستقبل الضّيوف، فنحن في كلا الحالتين مستفيدون ممّا يرافق هذه الزّيارات من مأكولات ومشروبات، لم نكن نحصل عليها لولا هذه الزّيارات، في زمن العازة والفقر.

كنّا إذا خرجنا مع أهلنا لزيارة، تتم تلاوة الوصايا المنوطة بذلك: ممنوع التّدخّل في حديث الكبار ومقاطعتهم، ممنوع التّحرّك في مقاعدنا، ممنوع أكل أيّ شيءٍ إلّا بموافقة الأهل، ممنوع المبادرة بأي عمل بدون إذن، ممنوع الجلوس ورفع الأرجل وغيرها من الأمور. أمّا إذا كنّا المستضيفين فيُمنع منعًا باتًا تناول أي شيءٍ من المائدة فهذا مخصّص للضّيوف، (بالإمكان التّذوّق بعد مغادرتهم وبكميّة معقولة)، ممنوع الإزعاج وممنوع وممنوع.

لم تكن، آنذاك، لغة الكلام هي لغة الحوار، بل كانت لغة العيون. لقد امتاز أهلنا بلغة العيون التي كنّا نفهمها جيدًا ونتجنبها. قمّة السّعادة عند الأهل أن يُقال لهم أنّ أولادهم مؤدّبون.

بالأمس زارني صديق لم أرهُ منذ زمن طويل. زارني بصحبة ثلاثة من أولاده، قصدي ثلاثة من شياطين الأرض الذين دخلوا البيت كالعاصفة وخرجوا كالزوبعة؛ قفزوا، صاحوا، صرخوا، أكلوا، شربوا، رقصوا، كسروا، سكبوا، تصارعوا، تعاركوا، تخاصموا، تسلّقوا على الكنبة بأحذيتهم، تذوّقوا كل أنواع الحلويات والفواكه، لم يتركوا شيئًا، ابتلعوا من كل شيءٍ، كموسم هجوم الجراد على مصر. كلّ هذا والأب غير مبالٍ إلى أن سكب أحدهم العصير على السّجادة فقال له موبخًا "ليش يا بابا؟".

أين ذهبت هيبة الأهل وسلطتهم؟

أذكر عندما كان أبي يأخذ قيلولته، كلّ يوم عند الظّهيرة، كان الهدوء التّام يسود البيت. منع تجوّل كمنع التّجوّل في دولة من دول العالم الثّالث، تحسّ أنّ الكرة الأرضيّة قد توقفت عن الدّوران.

أخيرًا قرّر صديقي وأبناؤه المغادرة بعد أن أكلوا الأخضر واليابس وقلبوا البيت رأسًا على عقب. وفي طريقهم إلى الخروج، صرخ أصغرهم صرخة قائلاً:

"نسينا علبة الشوكولاتة". كانوا قد أحضروها هديّة معهم. أصرّ أفندينا أن يأخذ الهديّة معه. لم تنجح توسّلات أبيه ولا تهديداته بإقناعه بترك الهديّة. "دعه يأخذها فلا حاجة لنا بها فنحن نعمل حمية ولا نأكل الحلويات" قلتها متوسلاً.

تنازلنا عن الهديّة مقابل حريّتنا المنشودة. صدق من قال "الزيارة غارة".

عدل

يُحكى: كانت هناك قرية اشتهر أهلها بالكذب وشهادة الزّور، في هذه القرية تزوّج رجل بامرأة سرًا، عند شيخ وفي حضور شاهدين -كان زواجًا شرعيًا، لكنّه زواجًا عرفيًا ليس له حقوق ولا تحميه القوانين والمحاكم إذا أنكره أحد...

وبعد فترة اختلف الزّوجان، وطردها الزّوج من المنزل وسلبها حقوقها، فذهبت للقاضي في المحاكم مشتكية.. وقالت: تزوّجني زواجًا شرعيًّا عرفيًّا ويشهد بذلك فلان وفلان.

طلب القاضي حضور الزّوج والشّاهدين، فأنكر الزّوج والشّهود معرفتهم بهذه المرأة، أو أنّهم رأوها من قبل.

نظر القاضي للشّاهدين جيّدًا وللزّوجة أيضًا، وسألها: هل عند زوجك كلاب؟

أجابت: نعم.

قال: هل تقبلين بشهادة الكلاب وحكمهم؟

قالت: نعم.

قال: خذوها فإن نبحت الكلاب عليها فهي تكذب، وإن رحبّت بها فهي صاحبة الدار.

ارتبك الزّوج والشّاهدان وشحبت وجوههم. فقال القاضي: اجلدوهم فإنّهم يكذبون.

فبئس القرى تلك التي كلابها أصدق من أهلها!!!...

حرامي قلبه طيّب

ذهبت بالأمس إلى مكتب محامٍ صديق لي، لمصادقة وثيقة معيّنة. يعمل صديقي محاميًا جنائيًّا وهو مختصّ بشتّى أنواع الجرائم. بعد السّلام وتبادل أطراف الكلام سألته بفضول: "هل تزداد الجرائم في شهر رمضان؟!". أجابني أنّ الجرائم لا تزداد ولا تنقص، لكن لها طابع آخر في شهر رمضان، حيث تكثر في رمضان الشّجارات بين النّاس، والخلافات داخل العائلة بسبب الصّوم وعدم ضبط النّاس لأعصابهم بسبب الجوع.

استمرّ حديثنا إلى أن دخل أحد الزّبائن المتّهمين بالسطو على أحد البيوت هو وزميلين له. حسب أقواله فقد قامت الشّرطة بالقبض عليه بينما نجح زميلاه بالهرب والإفلات. وقد حدّثنا هذا "الزّبون"، بكل عفويّة وأريحيّة، أنّه لم يعترف في التّحقيق ولم يشِ بزميليه اللذين هربا وتركاه ممّا أدّى إلى القبض عليه، واضطر إلى أن "يلبس القضية" وحده. تحدّث هذا الشّخص عن "مهنته" كأنّها أيّ مهنة أخرى في السّوق، مهنة لها أسلوبها وأطرها، مخاطرها ومردوداتها.

من المثير للاهتمام أنّه عندما سأله صديقي المحامي، لماذا لم يشِ بزميليه ويخبر عنهما، أجاب قائلًا:

"مشكلتي أنّ قلبي طيّب ولا أحبّ الإساءة لأحد، لذلك لم أشِ بهما، طيبة قلبي خربت بيتي".

نحن في زمن يدَّعي كلّ النّاس أنّ سبب مشاكلهم وتعبهم في الحياة نابع من طيبة قلوبهم، وصدق نواياهم، ونقاء سريرتهم ومحبّتهم للنّاس.

الحقيقة هي أننا بعيدون عن ذلك كلّ البعد، لأنّه لو كان الأمر كذلك، ولو كنّا نملك كل هذه المزايا والصّفات لعشنا في سلام ومحبّة. كنّا أحببنا بعضنا البعض وما انتشر كلّ هذا الشرّ، ولما عرفنا الغدر والضّغينة.

نحن نعيش في زمن نتنكّر به لصفاتنا الحقيقيّة، فنهرب منها، ولكنّنا نعيشها مع أنفسنا بالسّر والخفاء، ونتقمّص صفات أخرى تتناسب مع أشكالنا، مراكزنا ومظاهرنا في العلن. وينتج عن ذلك أنّنا عندها، تضيع فينا الصفات الحقيقيّة فلا نعود نفرّق بين الحقّ والباطل، بين الإصلاح والفساد، بين الصّدق والكذب، بين الأمانة والخيانة.

كـــلّ يـــوم "طوشـــة"، شـــجارات في كـــلّ مكـــان، حـــتّى في المســـاجد ودور العبـــادة، في الشّـــوارع والبيـــوت، في محـــلّات الحلـــويات (كنـــت شـــاهدًا علـــى ذلـــك). كـــلّ هـــذا نابـــع مـــن "طيبـــة قلوبنـــا"، لـــذلك لـــن نشـــي بأنفســـنا لأنفســـنا، مثلمـــا لم يـــشِ صـــديقنا بزميليـــه، "ولبس القضيّة" كما "لبسنا" والتبست علينا نحن صفاتنا وشخصيّاتنا.

الثقيل

على أثر مدوّنة الأمس "حرامي قلبه طيب" اتّصل بي صديقي المحامي طالبًا مقابلتي فورًا. استجبت لطلبه وخرجت صباحًا قاصداً مكتبه. وصلت إلى مكتبه واستقبلتني سكرتيرته وأدخلتني مكتبه. دخلت إلى مكتب صديقي الذي بقي جالسًا في كرسيه وردّ التّحيّة ببرود لم أعهده: "كيف تجرأت على البوح هكذا بأسرار المكتب؟!

"أعذرني يا صديقي أنا لم أكشف أي أسرار ولم أذكر اسمك أو اسم زبونك" قلت مبررًا.

"لقد اتصل حرامي البارحة واتّضح أنّ أحدهم قد قرأ المدوّنة له. لحسن حظّك أنّه قد أعجب بالأسلوب والعنوان وإلّا كنّا في خبر كان". حمدت الله وشكرت صديقي، ودعوت الله أن يبقيه ذخرًا لنا ولمجتمعنا.

في هذه اللّحظة دخلت سكرتيرته وقالت أنّ فلانًا يريد مقابلته فورًا. تغيّر وجه صديقي وانقلب جادًّا في كلامه وقال لها: "دعيه يدخل". وعندها توجّه اليّ قائلاً: "أعذرني هذا زبون ثقيل". وقام لمرافقتي خارجًا.

"أرجوك دعني أبقى معك، أعدك أنّني لن أتكلّم وسأجلس جانبًا". في هذه اللّحظة فُتح باب المكتب ودخل منه شخص في عمري، طويل، ضخم الجثة. بدا لي وجهه مألوفًا.

" أيمن، ماذا تفعل هنا؟! واو لم أركَ منذ زمن طويل" بادرني بكلامه.

"فلان؟! هذا أنت يا إلهي". وعندها أخذني بالأحضان وسط استغراب صديقي المحامي.

"تعال تعال اجلس لنتحدث" طلب مني بحزم.

"ربما لاحقًا، فهو مستعجل" قال صديقي المحامي.

"لا لست مستعجلًا، فلان ابن صفي ولم أره منذ سنوات طويلة" قلتها ونظرات الغضب تعلو وجه صديقي المحامي.

"الثقيل" ابن صفي! يا لسخرية القدر أن نلتقي عند صديقي المحامي.

"هل تريد ان تشرب شيئًا؟!" سأله صديقي المحامي.

"أعوذ بالله أنا صائم الدنيا رمضان، أنا ما بقطع فرض وحجّيت كمان" قال صديقي الثّقيل، وأنا أحاول مداراة وإخفاء ضحكتي.

اتّضح أنّ صديقي الثّقيل هو من أكبر تجّار المخدرات والسّلاح في المنطقة، وقد تمّ اعتقاله وإطلاق سراحه، وقد أتى لتوكيل صديقي للدّفاع عنه بالقضيّة. بعد أن "استعرضنا" تفاصيل القضيّة، (أنا معهم) قال صديقي المحامي: "هذه القضيّة تكاليفها ٤٥ ألف دولار".

مسك صديقي الثّقيل هاتفه وقال:

-ألو فلان، دبرلي ٤٥ ألف دولار فورًا.

- لا يهمني مش مشكلتي، دبروا حالكم، من جهتي "عيثوا بالأرض فسادًا، ودبروا المبلغ". قالها بالفصحى ونهض مغادرًا بسرعة بعد أن سلّم عليّ وعانقني قائلًا: "إذا بدك إشي اتصل، بنزبطك". جلست مع صديقي المحامي واضعًا رجلاً على رجلٍ وقلت له: صحيح صدق من قال: " مصائب قومٍ عند قومٍ فوائد".

- "اسمع ولا كلمة عن الموضوع، فهمت؟!"

- "لا اسمع إنت، إنت ما بتهددني أنا مدعوم"!!

يتّضـــح يا أصـــدقائي أنّنـــا كلّنـــا، بشـــكل أو بآخـــر مـــدعومين، ومَـــن يـــدعمنا مـــدعوم أيضًـــا من مسؤول أو بلطجي أو حمولة، ما شاء الله ينطبق علينا اسم شعب المدعومين.

آخر المستجدّات

أعزّائي القرّاء والمتابعين السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أودّ أن أطلعكم على آخر التطوّرات والمستجدات على أثر مدونتي الأخيرة.

-لقد تمّت دعوتي من اليوم وحتى آخر رمضان إلى ولائم إفطار رمضانيّة، كضيف شرف على عدّة مؤسّسات وجمعيات خيريّة ومجتمعيّة.

-كما وتمّت دعوتي إلى ثلاث عطوات عشائريّة في المنطقة لحل مشاكل مستعصيّة في مواضيع شتّى. تختصّ هذه العطوات في مواضيع العنف والخاوة والاعتداء على أملاك الغير. على أثرها قمت بشراء عباءة فضفاضة وفاخرة لتلائم الأحداث.

-تمّت دعوتي لافتتاح مطعمين جديدين للبورغر والشّوارما، بالإضافة إلى عيادة أسنان ومركز طبّي حديث.

-تلقّيت عدّة اتّصالات من أصحاب مشاكل وقضايا عالقة، منها قضايا طلاق وميراث وعقارات. لقد طلب أصحاب المشاكل تدخلي في الموضوع وتحديد جلسات للتباحث فيها.

-على النّطاق البلدي والبنية التحتيّة، قامت البلديّة بردم جميع الحفر في الطّريق المؤديّة إلى منزلي، كما وأعربت عن نيّتها تعبيد مقطع صغير من شارع في الحيّ الذي أسكنه ومن ثمّ تسميته على اسمي تيمنًا بالاسم والقدوة.

-لأول مرّة، أنا وأهل بيتي، لا نجد صعوبة في إيقاف سياراتنا جانب البيت، فقد تمّ الحفاظ على الأماكن خالية من قبل الجيران وأهل الحيّ، وذلك احترامًا ومراعاة لنا فلم يقف أحدٌ في موقفنا كما كان سابقًا. أمّا بالنّسبة للشّاحنات والباصات التي تحتلّ السّاحات والأرصفة والطّرق منذ سنوات، فقد قرّر أصحابها ركنها في أماكن بعيدة مخصّصة لهذا الهدف.

-تمّ توجيه تعليمات للمسحّراتي في القرية أن يحاول عدم الإزعاج من خلال قيامه بالعزف بنعومة على الطّبل حتى لا يتسبب بإيقاظنا في فترة السّحور بعد أن أعلمتهم أنّنا غير معنيين بذلك.

-زادت شعبيّة أولادي بين الشّباب وكثر أصحابهم وتمّ توجيه الكثير من طلبات الصّداقة إليهم على الفيسبوك والإنستجرام.

لا أدري لماذا اعتقدنا سابقًا أننا لن نلقى تقديرًا على أعمالنا، وها نحن الآن نرى هذا التّقدير والاحترام من الكثير من الأشخاص الذين أسأنا النيّة بهم واتّهمناهم

بالنّفاق وتمسيح الخوخ، واتّضح العكس أنّهم طيّبون ويتعاملون بأريحيّة ووئام. كما يبدو أنّهم استمعوا إلى أغنية اللاجئة العجوز "حبّوا بعضكم" وقرّروا تطبيق أقوالها بالفعل.

لا لا أكيد فش عندنا نفاق ولا دجل، وأكيد ما بنوقّف مع الحيط الواقف. كم محظوظ أنا بكم. دمتم لنا ذخرًا وسندًا ما دمنا أقوياء وأصحاب نفوذ وتأثير.

ملاحظة: المدوّنة هزليّة ساخرة ولا تمتّ للواقع بصلة، بلاش ينخرب بيتنا.

هلا بالخميس

اليوم الخميس. لقد اكتفيت من الجلوس، أو بالأحرى القبوع في البيت. عطلة قضّيتها بالنوم والكسل والسّهر حتّى ساعات متأخّرة من الليل. قرّرت العودة إلى العمل لأخرج من روتين الأسابيع الأخيرة. بيني وبينكم، قربوا شوي، اليوم عندنا عزومة كبيرة، وهذه فرصة للتملّص من طلبات زوجتي: "روح وتعال وجيب، بدنا كذا وكذا" طلبات لا تنتهي.

لكن اليوم الخميس، وقد أحببت الخميس منذ طفولتي، ببساطة أنا أحبّ هذا اليوم من الأسبوع. أحب الخميس لأن غدًا الجمعة يوم عطلة، رغم أنني خارج من عطلة طويلة، لكن ليوم الجمعة في رمضان رونق ونكهة خاصّة.

يوم الخميس مخصّص عادة للسّهرات وللمناسبات والأفراح، كلّ ما هو جميل من مناسبات. لا شكّ أنّه لا متعة تقارن متعة الخميس للكبار والصّغار. الغريب في الأمر أنّ يوم الجمعة لا يكون ممتعًا، لأننا نقلق بخصوص غدًا السّبت.

الجمعة عطلة وكما قال الكاتب الفرنسي ألبير كامي: "اليوم يوم راحة، وقلبي يذهب للبحث عن نفسه". ابحثوا عن أنفسكم علّكم تجدوها.

المهم أنني ذهبت إلى العمل صباحًا، متثاقلًا، نصف نائم، رِجل ورا ورجل قدام، بدون طاقة أو قوّة للقيام بشيء. لُمت نفسي "مش لو ظليت نايم أحسن!؟". وصلت متأخرًا، مواقف السّيارات خالية منها، المكتب شبه فارغ، "شو جابني!" قلت لنفسي لائمًا معاتبًا. ما زالت أجواء الأعياد مسيطرة. مضى الوقت ببطء شديد، تثاقلت الدّقائق وتباطأت السّاعات.

لم يكن هناك الكثير للقيام به وها أنا انتظر مرور الوقت حتّى أعود إلى البيت. هانت! بقي ربع ساعة لانتهاء الدّوام. اتصلت إلى البيت للاطمئنان أنّ كلّ شيء تمام وأنّهم لا يحتاجون شيئًا. أخبروني في البيت أنّ كل شيء جاهز. تنفست الصّعداء، آن الوقت للعودة. أخذت ألملم أغراضي وأوراقي استعدادًا للمغادرة، وإذا بمديرتي تدخل مسرعة وتطلب منّي تحضير تقرير مستعجل حول برنامج تعليمي لعرضه على المدير العام.

هل تعرفون ذلك الشّعور عندما تكون جالسًا مع الموظّفين، طوال اليوم في العمل، دون أي أحداث تذكر، وفجأة وبآخر لحظة يأتيك أحدهم بطلب في آخر ربع ساعة؟! يعني يا مستعجل وقف لأقولك.

هناك مصطلح باللغة العاميّة يصف هذا الموقف ولا يسعني أن أذكره هنا لحرمة الشّهر الفضيل.

المهم أنني أنجزت عملي وتأخّرت عن موعد مغادرتي ولملمت نفسي، لكن صار الذي حسبت حسابه، رنّ تلفوني ورأيت أنه رقم البيت، يا ساتر.

"ميّل على المخبز بدنا خبز ... آه ونُطْ على محل الحلويات واشتري كنافة، ما تكثّر قطر عليها، ... آه شوف محل الفلافل جيب نوعين: محشي بجبنة ومحشي ببصل... آه وما تنسى تميّل على الدّكانة تجيب عصير".

"غيره؟! إشي ثاني؟!"

"لا سلامتك، ما تطوّل!"

حُط بالخُرج

من الأمور التي تشغل بال الكثيرين مؤخرًا هو موضوع "الفُطرة" أو الزّكاة على الأموال وخاصّة في شهر رمضان. هناك الكثير من الآراء التي أخذت بالانتشار في وسائل التّواصل الاجتماعي بكلّ ما يخصّ احتساب المبالغ المستحقة وكيفيّة إخراجها، وهل يجب أن تكون هذه الزكاة مالًا أو متاعًا أم طعامًا.

لا شكّ في حقيقة أننا يجب أن نُخرج هذه الزّكاة التي هي فرض على كلّ مسلم، لكن بما أنّ الظّروف المعيشيّة قد تغيّرت والزّمن يتغيّر، فإنّ الأمر يحتّم تغييرًا في طرق إخراج هذه الأموال.

أنا لست شيخًا أو فقيهًا لكنني أرى، وهذا ما أفعله، أنّ جزءًا من أموال الزّكاة يجب إخراجها للعائلات المستورة، بهدف تحسين أوضاعها، بواسطة منح دراسية لأحد أبنائها. لم أرَ أيّ عائلة مستورة قد خرجت من وضعها على مدار السّنين، إلى وضع أفضل، بل بالعكس. قد يكون الأمر لأنّ هذه العائلة قد تأقلمت أو ارتاحت لكونها كذلك. أنا أفضّل أن أساعد هذه العائلة بتعليم أحد أبنائها، لا شرط ان يكون التّعليم جامعيًا، يُمكن أن يكون بتعليم مهنة معيّنة وبالتّالي فإنّ هذا الأبن

سيقوم بالنّهوض بالعائلة وتحسين وضعها الاقتصادي ومساعدة إخوته وتعليمهم، وهكذا تخرج هذه العائلة من دائرة ما يُسمّى العائلات المستورة.

هل سمعتم بالمثل "حط بالخُرج"؟

في زمن عمّ به الفقر، بادر الأمير عبد الله التّنوخي بوضع الخرج على فرسه وأخذ يتجوّل بأحياء المدينة مناديًا للمقتدرين: "حُطّ بالخرج"، فيبادر المقتدرون بما تجود أنفسهم دون عدّ أو معرفة أسمائهم أو صورهم. وعندما يصل إلى الأحياء الفقيرة ينادي: "شيلْ من الخرج"، فيأخذ الفقراء حاجتهم من مال دون ذلّ أو معرفة ما أخذوا وما تركوا، ودون تمييز دين أو طائفة، ودون أن يلتفت الأمير لمن مدّ يده. إلى أن جاء وقت كان يمتلئ به الخرج بالعطاءات والأمير ينادي ..."حُطّ بالخرج ".

ولم يعُد يوجد فقير ليأخذ من "الخرج" وهو ينادي "شيل من الخرج".

ما أحوجنا اليوم للتّشبّه بهذه الأعمال الفضيلة، ما أحوجنا إلى المقتدرين الذين يحطّون بالخرج دون انتظار شكرٍ أو جزاء، حتّى نصل إلى وضعٍ لا نجد فيه من "يشيل من الخرج".

مقلوبة فول

ولّعت مع جارتنا أم العبد.

كلّ أهل الحارة سمعوا صراخها:

- "خلص زهقت، طفح الكيل، من وين أجيبلكم كلّ يوم طبخة جديدة، ما ضلّ إشي إلّا وعملته، إرحموني".

-"ماما ماما، اطبخي مقلوبة فول، أنا بحبها" قال ابنها أحمد مستجديًا.

- "شو مقلوبة فول إنت الثّاني، زمن العزّ ما أكلناها، ما بدنا" قالت ابنتها جميلة باشمئزاز.

- "عندي اقتراح، تعالوا نروح على مطعم، على الأقل ممكن نجرّب أكلات جديدة وأمي بترتاح، شوفوا هذا المطعم وهاي دعايته: بوفيه مفتوح، رقاب محشيّة، فخذات خروف، مسخّن، محاشي، مشاوي مشكّلة، رز أشكال وألوان، حلويات شرقيّة وعصائر منوّعة طازجة، أجواء رمضانيّة هادئة، أسعار مريحة ومغرية ".

- "قديش السّعر للشّخص الواحد؟" سأل الأب متشكّكًا.

- " مئة شيكل مع تحلاية".

- "على بركة الله".

(بعد مرور ثلاث ساعات) ...

- "انبسطتوا؟! شفتوا؟! خلّيكم تعرفوا شو طبيخي، بتستاهلوا". قالت أم العبد وهي تهزّ بوسطها لائمةً.

- "شو السّيرة؟ شو صار؟! "سأل ابنها الذي لم يرافقهم إلى المطعم.

- "شو صار؟! المطعم بخزي، أولًا النّاس فوق بعض وفش محل، قال أجواء هادئة! ثانيًا الوعود والحكي إشي، والواقع إشي ثاني. المطعم مليان والنّاس زي السّردين، الأكل بارد، الشّوربة شوربة فريكة، هاي شوربة؟! المشاوي ناشفة يادوب كلها ثلاث شقفات بدون كباب ولا بطاطا مقلية، الدّور على البوفيه زي الدّور على "الدّاخلية" أيام العز. الأسعار زي النّار، إذا بدك إشي لازم تدفع".

- "دفعت ١٢٠٠ شيكل على خمسة أشخاص" قال الأب وهو يتصبب عرقًا.

- "بتستاهلوا! ما بدكم مقلوبة فول كان أوفرلكم" قالها الابن الأصغر وهو شمتان.

ما أنْ أكمل جملته حتّى كان بابوج أم العبد يطارده في أرجاء الحارة.

– ملاحظة: الحوار باللغة العامية.

هكذا نشأنا وتربّينا

سأل الرّجل زوجته: غالِيَتي.. لماذا تقصّين ذيل السّمكة وأنت تقومين بطهيها؟

استغربت زوجته وقالت: أتريدني أنْ أطهو السّمكة بذيلها؟

أجاب الرّجل: وما المشكلة؟! فالذّيل به قرمشة أحبها.

نفت الزّوجة وقالت: لا لا... دائمًا ما أطهيها هكذا.. تعلّمت هذا من أمي.

استغرب الرّجل من كلام زوجته ولم يقتنع، فاتّصل بحماته وسألها فأجابت السّيدة:

بالطبع من الخطأ أن تطهو السّمكة بذيلها.

سألها الرّجل: ولماذا.. أريد أن أفهم والله؟

أجابت حماته: لا أدري.. ولكنّي تعلّمتها هكذا من أمي.

اتّجه الرّجل لجدة زوجته كي يفهم السّبب القديم وراء تلك العادّة وكلّه فضول، فأجابت السّيّدة العجوز: يا بُنيّ.. كنّا قديمًا بسطاء ولم نكن نمتلك وعاء طهي يكفي السّمكة بالكامل.. فكنت أتخلّص من ذيلها حتى أستطيع وضعها في وعاء الطّهي.

وهكـذا أفكـارنا وأفعالنـا.. نتوارثهـا بـدون أن نعـرف مـا السّـبب فيهـا وأي مـبرّر كـان وراؤهـا.. ونمتلـك العديـد مـن المسّـلّمات الـتي يمكـن أن تحرمنـا مـن متـع كثـيرة مـن الحياة.. إلّا لو اتّجهنا لعقلنا وأجبرناه على التفكير.

طبّاخ ورومانسي

إذا سألتم أي امرأة أو زوجة في رمضان، أين تقضين معظم وقتك؟ ستقول أنّها تقضي معظم وقتها في المطبخ بين الأواني والطّناجر، في صراع مع الوقت لتحضير وجبة الإفطار في الوقت المحدّد، ولكي تستجيب لطلبات أفراد العائلة التي تزداد وتتنوع في هذا الشّهر بالذات.

كثيرًا ما تشعر المرأة بالحسرة وتبديد الجهد بسبب السّاعات التي تقضيها وهي تطهو، ثم ينتهي كل شيءٍ في دقائق. كلّ هذا العناء وهذه المشقّة من أجل ربع ساعة من الاستمتاع بالأكل، وكلّ هذا شرط أن يروق لأفراد العائلة.

لقد كنت في الماضي أغار أو حتّى أحسد الرّجال الذين يجيدون فن الطبخ. أقول فن الطبخ لأن الرّجال الذين يجيدونه يعتبرونه فنًّا، بينما هو شرط أساسي لدى المرأة ولا تكتمل وظيفتها كزوجة وأم إلّا باحترافه.

بعكس ما كان يعتقد الرّجال في الماضي أنّ عمليّة الطّبخ تقترن حصريًا بالمرأة، أنا أعتقد اليوم أنّ هناك نوع من الرّومانسيّة في كون الرّجل بارعًا في فنّ الطّبخ. كثيرًا ما نشاهد في الأفلام الأجنبيّة أنّ البطل يطبخ للفتاة التي يرغب في التّقرب منها

والاستحواذ على قلبها وإيقاعها في شباكه، (عند الزّواج يتوقّف عن ذلك)، ونرى أنّ الفتاة تُغرم في الرّجل الذي يجيد الطبخ.

أنا أحب الأكل، ولكنني لا أجيد الطّبخ بتاتًا، بعكس أولادي، إذ تربيت في بيت كانت أمي -رحمها الله- هي سيّدة المطبخ الوحيدة بدون منازع. يعود ذلك أننا كرجال لم نرَ أنّ هذا الأمر من مهامنا أو واجباتنا، أو أننا لم نطمح إلى ذلك، أو باختصار وخلينا نحكيها من الآخر؛ كنّا مرتاحين على هذا الوضع.

هل هناك مستقبل للطبخ المنزلي؟ هل تجيد الفتيات اليوم الطبخ؟ هل تورث الأمهات هذا الأمر لبناتهنّ؟

أشك في ذلك. كثيرًا ما أسمع الفتيات المقبلات على الزّواج، يقلنَّ:

"هناك أكل جاهز أو خليه يأكل عند أمه أو هاي مليان مطاعم". نرى معظمهنّ، كما تقول جارتنا أم العبد: "ما بعرفوا يقلوا بيضة".

الله يرحم أيام زمان عندما كانوا يعلّموننا مقولة:

"أقرب طريق إلى قلب الرّجل معدته".

ملاحظـة: أكثـر لحظـات السّـعادة عنـد زوجـتي عنـدما أخبرهـا أنـني أنـوي الأكـل خـارج البيت.

اعتذار من المتابعين

أنتم بالتأكيد تنتظرون مدوّنة جديدة في هذه السّاعة كما اعتدت أن أفعل كلّ يوم خلال شهر رمضان، لكن للأسف لم أكتب شيئًا اليوم لانشغالي ببعض الأمور في عملي، إذ خرجت صباحًا لمشاهدة حصّة لغة عربية في إحدى المدارس الكبيرة. لم أكتب لأنني كنت مرهقًا، مثلي ومثل كلّ الطّلاب في الصّف، لا طاقة ولا قوّة. يعني لم يكن في الصّف طالب مشاغب كما هي العادة، حيث يستغرق المعلم وقتًا طويلًا في إسكات الطّلاب. والله فكرة، لمَ لا نمنع الأكل عن الطّلاب حتى نضمن هدوءهم؟! لكن ماذا بالنّسبة لنا أيضًا، ألم نفقد طاقتنا؟!

في طريق عودتي من المدرسة وقفت على الإشارة الضّوئيّة، وقفت بجانبي سيّارة قديمة وبها ثلاثة شباب. الموسيقى العالية تعلو منها يرافقها اهتزاز الشّباب على أنغام الموسيقى الصّاخبة، شعرت بالغيرة منهم فلديهم الطّاقة والقوّة للرّقص والصّخب. ما هي إلا ثوانٍ حتى استلّوا سجائرهم وأشعلوها ورفعوا علب "الإكس إل" زرقاء اللّون وأخذوا بارتشافها بِنَهَم. تحوّل شعور الغيرة عندي إلى شعور الحسرة والأسف. قلت لنفسي ها هي فكرة لموضوع المدونة، فكرة سرعان ما تنازلت عنها قائلًا لنفسي؛ كل واحد حر بنفسه، لا أريد التّدخّل بغيري. لا أملك غير الدّعاء لهم بالهدي

وإصـلاح الحـال. علـى فكـرة هـذا الامـر ذكّـرني بطفـولتي في قـريتي التّابعـة جغرافيًـا لمنطقـة طـولكرم. وممّـا أذكـره أنّـه إذا تمّ ضـبط أحـدهم مفطـرًا بالعلـن فقـد كانـت الشّـرطة تعتقلـه إلى مـا بعـد العيـد. تخيّلـوا الأمـر! هـل تعـون الأمـر؟! مجـرّد التّفكـير بالأمـر أتعبـني وأرهقـني، وهـذا سـبب مـن أسـباب عـدم كتـابتي لمدوّنـة. آه مـن الأسـباب الأخـرى لعـدم كتـابتي أنـني التقيـت صـديقة لي في العمـل والـتي بادرتـني بقولهـا أنّهـا قـد أنزلـت سـتة كيلوغرامـات مـن وزنهـا منـذ بدايـة شـهر رمضـان، نعـم أنا أسـتطيع رؤيـة ذلـك. هنـا بالفعـل شـعرت بالغـيرة فـأنا لا اشـعر انـني نحفـت رغـم الرقابـة الشـديدة وممارسـة الرياضـة والكثـير مـن الأمـور. أعتقـد أنّ هـذا مـا أتعبـني وأرهقـني ودفعـني ألّا أكتـب مدوّنـة اليـوم. هـل الغـيرة مرهقـة إلى هـذا الحـد؟ هـل بالفعـل تسـتحوذ علـى طاقاتنـا؟ لا أعـرف يجـب سـؤال المختصّـات بالغـيرة، عـذرًا والمختصـين. علـى كـلّ حـال أرجـو أن تعـذروني عـن عـدم الكتابـة. غـير أنـني أشـعر بنـوع مـن الارتيـاح لتواصـلي معكـم لأخـبركم أنّـه مجـرّد تعب وإرهاق أسبابه الغيرة، وأنّه لا شيء يدعو إلى القلق.